دور المرأة الجزائرية في النضال التحرري
من خلال مواثيق الثورة 1954-1962

ليلى تيتـه جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر

❖❖❖❖❖

ملخص

يتطرق هذا المقال بالتحليل للدور الذي كان على المرأة أن تقوم به خلال الثورة التحريرية وذلك وفقا لما جاء في بيان أول نوفمبر ومقررات مؤتمر الصومام وبرنامج طرابلس. وقد اعتمدنا على التحليل النقدي كآلية منهجية للمقاربة.

Résumé

Le 1er novembre 1954 , la révolution algérienne éclata dans une Algérie ou la femme était généralement bannie de la vie économique, politique et culturelle du pays depuis de nombreux siècles. Or la proclamation du 1er novembre par le F. L. N a assuré que la libération de l'Algérie sera l'œuvre de tous les algériens et algériennes, et non celle d'une partie du peuple ou d'un parti. Malgré leur contribution, les résolutions du Congrès de la Soummam ont quasiment ignoré les femmes ; de son coté le Programme de Tripoli a consacré une attitude similaire.

❖❖❖❖❖

مقدمة

مرت الاهتمامات الفكرية بموضوع المرأة أثناء العهد الاستعماري بمرحلتين: مرحلة أولى تميزت برد فعل على الصدمة الحضارية الأوروبية، فانغلق أغلبية المجتمع الجزائري على نفسه خائفا من أي فكرة تدعو إلى تحرير المرأة وترقيتها، واعتبر ذلك أداة لسيطرة الاستعمار على المجتمع، وتوجد إلى جانب هذه الأغلبية أقلية تدعو إلى التفرنج وإتباع النموذج الفرنسي. وكانت أغلب الكتابات إن لم نقل جلها تدافع عن نظرة الإسلام تجاه المرأة بعدما اتهم الأوروبيون هذا الأخير بأنه ضد حقوق المرأة وحريتها، وظهرت عدة كتابات جزائرية[1] في هذا الشأن منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ركزت كلها على إبراز الموقف الإيجابي للإسلام من قضية المرأة وفصلت مبادئ الإسلام عن التقاليد البالية التي سادت المجتمع.

وقد تراجع- في مرحلة ثانية- الإهتمام بموضوع المرأة عند عقد العشرينيات من القرن العشرين ويعود ذلك إلى سيطرة المسألة السياسية على المسائل الأخرى، ومعاناة الإنسان الجزائري سواء كان رجلا أو امرأة من النظام الاستعماري الذي يجب التخلص منه.

من هنا، جاء هذا المقال ليلقي الضوء على الإهتمامات بموضوع المرأة في الثورة التحريرية من زاوية دورها في الكفاح الوطني خاصة بالنسبة لجبهة التحرير الوطني. ولا شك أن هذا الأمر سيتطلب مني العودة قليلا إلى الوراء للحديث عن نظرة الاتجاه الاستقلالي في الحركة الوطنية لموضوع دور المرأة في النضال لأتمكن من فهم الأرضية التي ستسير عليها الثورة بخصوص هذا الموضوع على الأقل في فترتها الأولى. فكيف كانت نظرة الاتجاه الاستقلالي لدور المرأة في الكفاح؟ وكيف رسمت الثورة بعد ذلك هذا الدور في مواثيقها؟

1- دور المرأة الجزائرية في الكفاح التحرري من خلال مواثيق الاتجاه الاستقلالي قبل 1954.

لم يطرح الإتجاه الإستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية قبل 1945 موضوع المرأة بصفة عامة في مواثيقه وبرامجه بحكم إعطائه الأولوية للكفاح ضد الاستعمار، وأن حل المشاكل كلها مرتبط بتحقيق الهدف الاستراتيجي المتمثل في استرجاع الاستقلال الوطني. فباستثناء المطالبة بإنشاء "مراكز الأمومة لنساء الأهالي في المدن والمراكز السكانية الكبرى" الذي ورد في مجموعة مطالب نجم شمال إفريقيا من حكومة الجبهة الشعبية في 20 جوان عام 1936م[2]،

والذي جاء في خضم مطالب تكتيكية وليس في إطار برنامج لدولة الاستقلال، فإننا لا نجد أي تطرق أو إشارة إلى المرأة في مختلف مواثيق وبرامج نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري.

بنهاية الحرب العالمية الثانية، برز الحديث عن المرأة لدى الاتجاه الاستقلالي وذلك في إطار اعتبارها مجرد أداة ضمن أدوات عدة لتحقيق الأهداف السياسية والإيديولوجية في مواجهة الإستعمار مع الحذر من الاصطدام بالمجتمع الذي نحتاجه في هذه المواجهة، وتكمن صعوبة هذه المعادلة في غلبة الطابع المحافظ على هذا المجتمع- خاصة الريفي والبدوي منه- الذي يرفض كل فكرة جديدة يشتم منها رائحة "التفرنج" حتى ولو كانت مستمدة من مبادئ الإسلام الصحيح. [3]

ولتحقيق هذا الهدف المتمثل في توظيف المرأة كأداة في الكفاح الوطني تمّ إنشاء تنظيم نسائي تابع لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سمي بـ"جمعية النساء المسلمات الجزائريات" [4] A. F. M. A في 24 جوان1947م، [5] وكانت مهمته في البداية مساعدة عائلات وأسر المسجونين، والاهتمام بالمرأة ثم نشر الأفكار الاستقلالية في صفوف النساء عن طريق إلقاء دروس ومحاضرات تدعو إلى مساندة الحركة الوطنية، وتدعيم برامجها الداعية للحرية والإستقلال، [6] عدا ذلك لم يتطرق هذا الإتجاه إلى موضوع المرأة وإشراكها في النضال إلا بعدما أشار تقرير اللجنة المركزية للمؤتمر الثاني لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى أن موضوع المرأة ضمن الأهداف الإستراتيجية الهامة التي يجب دراستها بكل اهتمام لأن الحاجة لمشاركة المرأة في الكفاح التحرري ملحة جدا [7]. وقد كرر نفس المطلب عند اقتراحه برنامج عمل في نداء 10 أكتوبر 1953م إلى مختلف القوى الوطنية لتشكيل مؤتمر وطني جزائري، فقال بضرورة "ترقية المستوى العام للمرأة الجزائرية من أجل إشراكها في الكفاح الوطني." [8]

من هنا نلاحظ أن إشراك المرأة الجزائرية في الكفاح التحرري في مواثيق هذا الاتجاه خلال هذه الفترة قد ارتبطت بمسألة ترقيتها. [9]

ومرة أخرى، يبدو أن قادة الإتجاه الإستقلالي في الحركة الوطنية كانوا ينظرون بحذر شديد إلى موضوع المرأة و مسألة ترقيتها وإشراكها في العمل الثوري خشية فقدان تأييد المجتمع الذي كان يغلب عليه الطابع المحافظ والتقليدي، وما رسالة مصالي الحاج التي بعث بها إلى المكتب السياسي للحزب أثناء انعقاد مؤتمر هورنو في بلجيكا في 02 أوت 1954م أين طالب فيها بضرورة إشراك المرأة الجزائرية بفعالية في الكفاح من أجل التحرير الوطني شرط أن يؤخذ الموضوع بحذر وتأن لأن القضية معقدة وعويصة لخير دليل على ذلك. [10]

2- دور المرأة الجزائرية في الكفاح التحـرري مـن خـلال بيـاني 01 نـوفمبر 1954

مع اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954، وزع قياديو هذه الأخيرة بيانيين الأول من إمضاء جبهة التحرير الوطني والثاني من إمضاء جيش التحرير الوطني، يذكر في هذا الإطار أحمد بوباكور أحد المشاركين في عمليات انطلاق الثورة بمنطقة خنشلة أن عباس لغرور، وبعدما حضر إلى اجتماع عقد تحت رئاسة مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير، عاد من باتنة في 29 نوفمبر واجتمع بالجموع في الساعة التاسعة مساء من اليوم نفسه. وبعد بداية الاجتماع سمح لبوباكور أن يقرأ نصين بالفرنسية. الأول عبارة عن نداء من جبهة التحرير الوطني مكون من صفحتين يوضح بصراحة خطة العمل السياسي لجبهة التحرير الوطني أو حجر الأساس السياسي لجبهة التحرير الوطني، أما الثاني فعبارة عن منشور من جيش التحرير الوطني قصير، بسيط ومن المفروض أن يوزع بقوة على الشعب، لقد كان للمنشورين علمان أعلاهما أخضر وأبيض ملتقيان وفي وسطهما نجمة وهلال أحمرين.[11]

جاء نداء جبهة التحرير الوطني مفصلا واضح المعاني ظاهر الأهداف، بينما جاء نداء جيش التحرير الوطني الخاص بالشعب الجزائري مختصرا بسيطا في تعابيره، ذا معان مباشرة باعتباره موجها إلى عموم المواطنين، غير أن النداءين حسب ما ورد ذكره سابقا قد كانا بالفرنسية، النسخة الوحيدة التي ترجمت وبالتالي كانت بالعربية هي تلك التي أذيعت في "صوت العرب" من القاهرة.[12]

يظهر من خلال القراءة الأولية لبيان جبهة التحرير الوطني أن هذا الأخير لم يتطرق إلى موضوع المرأة ودورها في الثورة التحريرية صراحة بل كان ذلك في إطار الحديث عن الشعب الجزائري عندما ألح على أنه: "يعتمد على تجميع وتنظيم كل الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري."[13] وأن مهمة الكفاح "تتطلب. . . كل القوى وتعبئة كل الموارد الطبيعية." [14]

وعندما قال أيضا: "تتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين. . . أن تنظم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر."[15]

إذا ما حاولنا تحليل هذا الأمر يمكن القول أن بيان أول نوفمبر الخاص بجبهة التحرير الوطني قد حدد الهدف الإستراتيجي للثورة ألا وهو تقويض النظام الإستعماري تحقيقا لاستقلال الجزائر. ومن أجل الوصول إلى ذلك، دعا جميع الجزائريين وكل الفئات الاجتماعية والأحزاب والحركات الجزائرية إلى المشاركة في هذا المسعى الوطني. فهو بذلك يعتبر هؤلاء جميعا أداة لتحقيق الهدف أولا، مثله مثل ما كان يتحدث به الاتجاه الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية وهو أمر ليس بغريب، إذ تعتبر جبهة التحرير

الوطني خليفة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ومحطمتها على حد تعبير المؤرخ الفرنسي جيلبيير مينييه.[16] والملاحظ كذلك أنه لم تكن هناك أي عبارة تدعو لتحريض الشعب ودعوته لتقديم الدعم والمساندة من أجل ثورة شعبية، ولعل السبب الأساسي في ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى أن هذا البيان قد شكل في الحقيقة أرضية للتفاوض مع الفرنسيين أكثر من أي شيء آخر، فقد وجه بالدرجة الأولى لجذب انتباه هؤلاء وإلى شريحة من مثقفي المتروبول وإلى المثقفين المسلمين باللغة الفرنسية، وإلى التقدميين في كل البلدان، كما كانوا يسمون في تلك الفترة من الحرب الباردة، إضافة إلى الأوروبيين والبعثات الأجنبية في الجزائر.

أما إذا عدنا إلى بيان جيش التحرير الوطني، ومع أنه باستثناء الوثائق الأولى التي صدرت في 01 نوفمبر 1954 من الوفد الجزائري بالقاهرة، لم يشر أي من المصادر الرسمية التي ظهرت في ذلك الحين إلى الإعلان الخاص بجيش التحرير الوطني،[17] مع هذا ظهرت بهذا البيان الدعوة إلى لم الشمل والكفاح والتعبئة العامة (La mobilisation générale)[18] حيث ورد فيه:" لا تضيع الوقت. . . واشرع في تنظيم عملك بجانب قوات التحرير التي يجب أن تقدم لها المساعدة والمعونة وأن تحميها في كل وقت وفي كل مكان، بخدمتها تخدم قضيتك."[19] وبذلك، فقد أشار بيان جيش التحرير الوطني أيضا إلى دور الشعب الجزائري في الكفاح التحرري دون الإشارة إلى دور المرأة تحديدا وهي أمور تعد طبيعية إذا ما علمنا أن ظروف تلك الفترة قد تطلبت الانطلاقة أولا ثم التنظيم ثانيا، والخوف من أي محاولة ستؤدي إلى الاصطدام بالمجتمع الذي أتى بتقاليد بالية وألصقها بالإسلام، وهو المجتمع الذي يعول عليه أكثر في هذه المواجهة مع الاستعمار.

رغم أن الندائين لم يتوجها لها مباشرة، ورغم أن الندائين حسب ما تذهب له معظم الشهادات لم يوزعا إلا في المناطق التي طبعا فيها، وكتبا بلغة لا يتقنها شعب معظمه لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن المرأة الجزائرية وخاصة الريفية قد كانت من الأوائل الذين لبوا نداء الثورة، وقد بدأت أولى إسهاماتها من خلال إيواء المجاهدين وتقديم الزاد لهم.

3- دور المرأة الجزائرية في الكفاح التحرري من خلال مقررات مؤتمر الصومام:

صرح المجاهد لخضر بن طوبال رحمه الله يقول:بعد مرور قرابة السنتين من اندلاع الثورة التحريرية، قررنا تنظيم ملتقى أو ندوة وطنية للمناقشة. . .[20] وهكذا عقدت الندوة أو المؤتمر بداية من يوم 20 أوت 1956 بوادي الصومام وخرج بمجموعة من القرارات سنحاول نتبع ما جاء فيها بخصوص المرأة.

لقد تطرقت مقررات مؤتمر الصومام لموضوع المرأة ودورها في الثورة التحريرية في محور(وسائل العمل والدعاية)بعد محوري (الحالة السياسية الحاضرة) و(البوادر السياسية)، وقد جاء الحديث عن الحركة النسائية في الجزء الثالث من المحور تحت عنوان: (تحويل السيل الشعبي إلى طاقة خلاقة) في عنصره السادس.[21] وقد جاء في هذا العنصر (عنصر الحركة النسائية): "توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر بإطراد. وإنا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الباهر الذي تضربه في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء الزوجات والأمهات، ذلك المثل الباهر الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي يشاركن بنشاط كبير وبالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن.

ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمن مساهمة إيجابية فعالة في الثورات الكثيرة التي توالت وتجددت في بلاد الجزائر منذ سنة 1830 ضد الاحتلال الفرنسي. وإن الثورات الرئيسية كثورة أولاد سيدي الشيخ في سنة 1864 بالجنوب الوهراني وثورة القبائل في سنة 1871 وثورة سنة 1916 في الأوراس وناحية معسكر قد تركت لنا صورا حية خالدة لوطنية الجزائريات اللائي ضحين بأنفسهن في كثير من المناسبات.

والمرأة الجزائرية اليوم موقنة أن الثورة الحالية ستنتهي لا محالة بالحصول على الاستقلال.

وإن المثل الذي ضربته أخيرا تلك الفتاة القبائلية التي رفضت الفتى الذي تقدم لخطبتها لأنه ليس من المجاهدين لدليل رائع على ما تمتاز به الجزائريات من المعنوية السامية والإحساس النبيل.

وعلى هذا فإن من الممكن في هذا الميدان أيضا تنظيم وسيلة من أخطر وسائل الكفاح وأجداها بطرق خاصة مناسبة لعادات البلاد وتقاليدها الخاصة وذلك:

أ- بمؤازرة المحاربين والمقاومين مؤازرة أدبية.

ب- بتقديم الأخبار والمشاركة في الاتصالات والتموين وتهيئ الملاجئ.

ج- مساعدة عائلات وأبناء المجاهدين والأسرى المعتقلين"[22]

من خلال هذا النص، يمكن أن نخرج بالعديد من الملاحظات:

- لقد جعلت مقررات مؤتمر الصومام من الحديث عن دور الحركة النسائية في الثورة التحريرية في المرتبة السادسة والأخيرة بعدما تحدثت عن دور كل من الفلاحين، العمـــال،

الشباب، المثقفين، أصحاب المهن الحرة، التجار والصناع. ولعل هذا من المفروض أن يكون أمرا طبيعيا في ظل ظروف تميزت خاصة في هذه الفترة وفترات سابقة لها بإبعاد المرأة خاصة عن الحياة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية.

- لم تتناول مقررات الصومام المرأة في حد ذاتها من حيث الحقوق والواجبات بل تحدثت عنها كوسيلة لتحقيق الانتصار لا غير.

- أشادت مقررات المؤتمر بالدور البطولي الذي قامت به نساء جزائريات على مر العصور، لتصل في الأخير إلى تحديد المهام المنوطة بالمرأة في الثورة التحريرية، ولعل اللجوء إلى تلك المقدمة قد كان الغرض منه دغدغة مشاعر مجتمع لا يزال يعتبر خروج المرأة عن العادات والتقاليد جرم في حق المجتمع لا بد من المعاقبة عليه.

- رغم أن عبان رمضان قد فوجئ برؤية النسوة عندما ذهب لحضور أعمال المؤتمر، ورغم أنه قال أن هؤلاء حسناوات موجودات في مكان غير مكانهن، ورغم مشاركتهن في المؤتمر بتقديم القهوة والتين وغسل ملابس المؤتمرين،[23] إلا أن الحديث عنهن في مقررات المؤتمر لم يأت سوى في جزء (وسائل العمل والدعاية) ليجعل منها آداة مكملة لتحقيق النصر دون الحديث عما يجب فعله لترقيتها، فعلى خلاف ما كان يدعو له الاتجاه الاستقلالي من ضرورة ترقية المرأة لإشراكها في الكفاح، دعت مقررات المؤتمر إلى إشراك المرأة في الكفاح دون الحديث عن سبل ترقيتها أو حتى إعادة بعث التنظيم الذي من المفروض أنه يؤطرها، وهو الأمر الذي كان الحديث عنه موجودا عند التطرق إلى الفئات الأخرى كفئة التجار وفئة العمال مثلا حيث جاء بخصوصهم:"من واجب جبهة التحرير الوطني أن تساعد هذه المنظمة النقابية (الإتحاد العام للتجار الجزائريين) على التطور والتوسع"[24]، "ينبغي على جبهة التحرير الوطني أن لا تهمل الدور السياسي الذي يمكن لها أن تقوم به لمساعدة الإتحاد العام للعمال الجزائريين وتكمل عمله النقابي الحر".[25]

- جاء في المقررات أن المهام ستكون مهاما ستنظم بطرق خاصة مناسبة لعادات البلاد وتقاليدها، ولعل سبب ذلك يرجع إلى الخوف من فقدان القاعدة الشعبية بفعل سيطرة الأفكار العتيقة والتقليدية على عقلية المجتمع الجزائري بحكم القراءة المتخلفة للإسلام ولنصوصه الذي يدعمه بعض الطرقيين والمحافظين.

- لقد حددت مقررات مؤتمر الصومام مجالات تدخل المرأة في الثورة التحريرية ولخصتها في ثلاث نقاط فقط. والحقيقة، لقد كانت المهام التي حددتها مقررات مؤتمر الصومام للمرأة كي تقوم بها في الثورة التحريرية متأخرة عما كان يحدث بالفعل لأن المرأة الريفية خاصة قد اضطلعت منذ بداية الثورة بعدة نشاطات ومهام تطلبتها مسيرة الثورة إذ عملت على إخفاء المجاهدين وإطعامهم ومراقبة تحركات الجيش الفرنسي مثلا وهو ما يؤكده على سبيل المثال تقرير عسكري فرنسي جاء فيه:"بعد إلقاء القبض على المتمردين في تيشطاط (20أوت 1955)في غرب خنقة سيدي ناجي، وبعد تصريحات الملتحقين بفرنسا من مشونش، إتضح أن الثورة تعرف مشاركة للمرأة".[26]

- لم تحدد مقررات مؤتمر الصومام للمرأة ولو فرضا مهمة القيام بدور سياسي واتخاذ القرارات. مع ذلك يذكر علي كافي في مذكراته أن هناك منهن من أصبحت مسؤولة على مستوى الدوار وحتى محافظ سياسي، وحسب دراسة صادق سلام حول الولاية الرابعة فإن هناك من كانت مسؤولة ناحية[27]. وبذلك تعتبر مرتبة المحافظ السياسي هي أعلى رتبة تحصلت عليها المرأة أثناء الثورة التحريرية باستثناء ما هو موجود ضمن التنظيم النسائي أو أثناء بعثات الوفود النسائية إلى الخارج لتمثيل المرأة الجزائرية. بعيدا عن هاتين الولايتين، لا يوجد هناك أي مصدر يتحدث عن مثل هذا الأمر في باقي الولايات.

- لقد استخدمت الغالبية العظمى من النساء الملتحقات بالثورة في مهام لم تكن بعيدة عن نشاطهن كربات بيوت ومربيات تحدثت عنها جميلة عمران في كتابها إذ ذكرت نسبة 44 % بالنسبة للطباخات و42 % بالنسبة للممرضات[28]، حتى أن منشورا وزع بالغرب القسنطيني في. . . . . يحضر المرأة إلى مهام التحرير وبناء المستقبل الجزائري في إطار ميزاتها كزوجة، أم ربة بيت ثم . . . مواطنة.[29]

- لجأت مقررات المؤتمر في الأخير إلى تعظيم شأن المرأة القبائلية التي رفضت خطبة رجل لها لأنه لم يكن من المجاهدين. ونتساءل هنا إن كان تقديم هذا المثل قد جاء ليؤكد أن المرأة قد أصبحت حرة في اختيار الزوج المناسب لها تحت جنح الثورة وهو ما جاء في العدد 72 من المجاهد لـ01 نوفمبر 1960 حيث ورد فيها:"منذ 1954، هناك الكثير من التحولات. الرجال غائبون في معظم المنازل، إنهم في السجن، في الجبال، أو توفوا. من هنا تعلمت المرأة كيف تنشط لوحدها، إنها تعمل، تتصرف بالميزانية، تعتني بالأولاد، . . . لقد تبدلت العادات أيضا إذ تعددت حالات الفتيات اللواتي تتزوجن بإراداتهن. وقد بدأ المجتمع يتقبل ذلك بصورة أسهل من ذي قبل. أظن أن على الرجال أن يفهموا أن من مصلحتهم أن يعطوا لنسائهن مسؤولياتهن وأن يتركوا لهن جزءا من المبادرة"،[30] أم أن هذا أمر لكل رجل وامرأة بأن لا يختار أو تختار الزواج إلا من مجاهد أو مجاهدة مما يدفع إلى تعزيز صفوف الثورة بالقادمين الجدد الراغبين في الزواج ؟

- رغم أن مقررات مؤتمر الصومام قد وزعت الذكور كما الإناث في صفوف جيش التحرير الوطني إلى مسبلين، فدائيين ومجاهدين إلا أن هذه المساواة لم تكن سوى أمرا شكليا لأن العودة إلى سجلات وزارة المجاهدين حسب ما تذهب إليه جميلة عمران تظهر أن أولى البطاقات الخاصة بقدماء المجاهدين كانت تحمل على ظهرها الرتبة التي كانت لكل مجاهد وهي الألفاظ التي تحدثنا عنها سابقا، في حين غاب هذا الأمر في البطاقات الخاصة بقدماء المجاهدات. [31]

- دائما في إطار نشاطها بجيش التحرير الوطني، أثار التحاق المرأة الجزائرية المثقفة بالثورة بالجبال مشاكل عدة ربما تعود بالأساس إلى أن جبهة التحرير نفسها عندما

وضعت قرار الإضراب في 19 ماي 1956 لم تكن نتوقع أن يجد هذا النداء استجابة من النساء والتحاقهن بالجبال نظرا للعادات السائدة، وعليه اتخذت كل منطقة على حسب ظروفها القرار الذي رأته الأنجع بخصوص تواجد المرأة بين جنود جيش التحرير الوطني. في هذا الإطار، جاء في محضر لاجتماع لجنة الولاية الأولى في 1957/01/22 أن النساء قد كن يقمن عند عائلات بالقرى المجاورة وليس بين وحدات جيش التحرير، ولم يكن بوسعهن أن يتعاملن سوى مع المدنيين وخاصة النساء.[32] وهو الأمر الذي اتفقت عليه معهم كل من الولايتين الثانية والرابعة(أنظر الملحق المرفق بالمقال). وفي نفس الإطار أيضا يذكر بعض المؤرخين أن العقيد عميروش بعد عودته من تونس وجد أن دانييل مين قد تزوجت من طبيب الأسنان سي علي عمران فأثار هذا حفيظة الجند الذين بدءوا يلاحظون أن المثقفين من النساء أو الرجال هم فقط من لهم فرص الزواج. بعد مدة طلب الدكتور لاليام من العقيد عميروش أن يسمح له بالزواج من الدكتورة نفيسة حمود، هنا قرر عميروش في اجتماع 22 أكتوبر أن تغادر كل النسوة إلى تونس ومن ضمنهن الطبيبة. وبذلك نقلت النسوة كذلك ما عدا في الولاية الثانية والبعض من الولايتين الرابعة والخامسة إلى تونس والمغرب بداية من 1958.[33]

- بعيدا عن الموجودات ضمن جيش التحرير الوطني في مناطق العمليات، شاركت النسوة في الثورة التحريرية كلا حسب طريقتها، ولعل سعي الجنرال ديغول -بعد وصوله إلى السلطة-لكسب هذه الفئة من المجتمع إلى جانبه عبر سياسة متعددة الأشكال والألوان قصد إبعاد جبهة التحرير الوطني عن قاعدتها الشعبية لخير دليل عن إسهامات هاته الفئة من الشعب في الثورة التحريرية، وهو ما أشارت له التقارير الفرنسية عندما أكدت أن فترة 1960-1961 قد عرفت تعدد المظاهرات النسوية.[34]

- رغم أن مقررات مؤتمر الصومام لم تهتم بمستقبل المرأة ولا بحاضرها، إلا أنها تلقت وعودا بحياة أفضل بعد الاستقلال وهو ما جاء في منشور من الولاية الرابعة في صيف 1961[35]. فماذا عن هذه الوعود في برنامج طرابلس؟.

4- دور المرأة الجزائرية في الكفاح التحرري من خلال برنامج طرابلس:

يعتبر برنامج طرابلس من أهم مواثيق الثورة التحريرية بحكم طبيعة المرحلة التي جاء فيها والتصورات والأفكار التي أقرها، فقد قيل عنه انه البرنامج الذي مكننا من معرفة نقاط ضعف الجزائر أثناء الثورة التحريرية.[36] صوت عليه(كمشروع برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية)تصويتا جماعيا في دورة ماي-جوان 1962 للمجلس الوطني في طرابلس.

تطرق برنامج طرابلس لموضوع المرأة في المحور الثالث والأخير من البرنامج وهو المحور المعنون بـ(لتحقيق المهام الاقتصادية والاجتماعية للثورة الديمقراطية الشعبية) وذلك في الجزء الثاني منه المعنون بـ(تحقيق المطامح الاجتماعية للجماهير) في عنصره الخامس وما قبل الأخير.

جاء في الجزء المعنون بتحرير المرأة ما يلي:

" لقد خلقت مشاركة المرأة في كفاح التحرير الظروف الملائمة لكسر الكابوس القديم الذي كان يحيط بها ويقيدها، ولإشراكها إشراكا كاملا في تسيير الشؤون العامة وتنمية البلاد ينبغي للحزب أن يقضي على كل عوائق تطور المرأة وتفتحها، وأن يدعم عمل المنظمات النسوية، ولسوف يكون عمل الحزب ناجعا في هذا الميدان ولن ننسى أن مجتمعنا لا يزال إلى يومنا هذا لديه عقلية سلبية بشأن دور المرأة، فكل شيء يساعد وبأنماط مختلفة في نشر فكرة نقص المرأة وعجزها بلا غلو نجد هذه العقلية البائدة متفشية في أوساط النساء أنفسهن.

ولن يتسنى للحزب أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ما لم يساند دوما محاربة الأحكام الاجتماعية المسبقة والمعتقدات المبدئية فقط، بل عليه أن يجعل من تطور المرأة واقعا لا رجعة فيه وذلك بواسطة تخويل النساء مسؤوليات حزبية"[37].

ولقد تعرض الميثاق أيضا لموضوع المرأة بصورة عرضية في محور (الثورة الديمقراطية الشعبية) جزء (خاصيات الجزائر) ليقول :"إن الإقطاع . . . يعمل. . . على دوام هياكل ومفاهيم تعداها الزمن وهي : الروح القبلية والجهوية واحتقار المرأة وتمييزها والجهل العام. . . "[38].

من خلال ما جاء في البرنامج من أمور يمكن أن نخرج بالملاحظات التالية:

- لقد تطرق برنامج طرابلس لموضوع المرأة الجزائرية في المرتبة الخامسة من محور(تحقيق المطامح الاجتماعية للجماهير) بعد أن تحدث عن: رفع مستوى المعيشة، محو الأميـــة وتطوير الثقافة الوطنية، السكن، الصحة العامة[39]، وهو الأمر الذي يجعلنا نتساءل فيما إذا كانت المواضيع الأولى أولى بالاهتمام من موضوع المرأة التي هي نصف المجتمع، أم أن الأمر قد كان بصورة عفوية؟.

- لقد أولى برنامج طرابلس موضوع المرأة اهتماما جزئيا ضمن اهتمامات أخرى تخص الدولة المستقبلية المراد إقامتها، عكس ما قام به بالنسبة للعمال والفلاحين ولعل هذا الأمر يرجع بالأساس إلى شخصية وهوية ومعتقدات من قاموا بتحرير البرنامج الذي تمت المصادقة عليه دون مناقشة.

- أشار النص إلى أن المرأة لا تزال في مرتبة دنيا رغم مشاركتها في معركة التحرير لأن هناك عوائق وممارسات سلبية تجاهها تقف أمام تطورها وتفتحها.

- ذكر النص أن هناك اهتمامات من طرف الحزب بالعمل على تحريرها وتطويرها حتى يخطو خطوات أخرى إلى الأمام وذلك بمحاربة هذه العوائق المتمثلة أساسا في الأحكام الاجتماعية المسبقة والمعتقدات المبدئية بخصوصها، لكنه لم يشر للكيفية التي سيحقق بها ذلك.

- يؤكد البرنامج أنه لكي لا يجعل هدفه القاضي بتطوير المرأة حبرا على ورق، لا بد له من أن يولي هذه الأخيرة مسؤوليات حزبية في داخله.

- رغم ما ذكر عن ضرورة توليتها مسؤوليات حزبية وإشراكها في تسيير الشؤون العامة إلا أن البرنامج لم يتحدث عن الدور المنوط بها بعد الاستقلال صراحة، ولم يضع لها مكانة محددة.

- لم يشر البرنامج إلى مسألة المساواة بين الرجل والمرأة في المجالات الاقتصادية، السياسية والاجتماعية، وهو الأمر الذي نجده مذكورا إذا حاولنا الرجوع إلى برنامج الحزب الشيوعي الجزائري وفرع جبهة التحرير الوطني بفرنسا عندما دعيا إلى إلغاء تعدد الزوجات، وعدم المساواة بالإرث والطلاق وهي كلها أمور تمثل قطيعة مع الإطار التقليدي للشرع الإسلامي[40].

- يمكن القول أن برنامج طرابلس قد اكتفى بتأكيد الحداثة والتجديد فيما يتصل بالبنى التقليدية للمجتمع الجزائري من غير أن يقوم بقطيعة جذرية معها.

الإحالات

[1]- يعد محمد بن مصطفى بن الخوجة الملقب بالكامل من الأوائل الذين أولوا اهتماما بتحرير المرأة حيث سبق قاسم أمين في المسألة، وذلك بكتابه "الاكترات بحقوق الإناث" الذي نشره عام 1895م، ويبدو أنه قد تأثر بالشيخ حمزة فتح الله الذي كان يكتب بجريدة "الرائد التونسي"، وصاحب كتاب "باكورة الكلام في حقوق النساء في العالم" الذي طبعه سنة 1891م بمصر. بالإضافة إلى عدة كتب أخرى مثل الأمير محمد بن الأمير عبد القادر: "كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب" و "الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق"، عبد الحليم بن سماية: "العلاقة بين الدين والفلسفة" الذي تطرق فيه أيضا لموضوع المرأة، محمد بن أبي شنب:"الحياة الدينية الإسلامية في مدينة الجزائر ووضع المرأة طبقا للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأعمال المرأة المسلمة، إسماعيل حامد" Femmes musulmanes de l'Afrique du nord" أنظر:رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف(1920-1954)،

أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف محمد العربي الزبيري، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2004/2003، ص. 284.

[2]- Claude COLLOT et Jean Robert HENRY,Le mouvement national algérien,Textes 1912 - 1954,2èmeEdition,(Alger:O. P. U,1981),p. 80.

[3]- رابح لونيسي، مرجع سابق، ص. 285.

[4]- من أبرز عضواته: مامية شنتوف- نفيسة حمود زوجة لاليام- مليكة مفتي- سليمة بن حفاف زوجة بن خدة- خيرة مصطفاي- فاطمة بن عصمان- نسيمة بن حبلال زوجة بن مخادم - زهية خلف الله- باية أعراب- باية نوار- منية بومعزة- فطيمة زكال زوجة بن عثمان- السيدة شرشال. . . وغيرهن. أنظر:

Djamila AMRANE,"Nos soleil:Sous les verrous",Interview avec Mme Mamia CHENTOUF, Parcours Maghrébins,n°09,10 Juin/Juillet 1987,p. 81.

[5]- إنحل هذا التنظيم في نوفمبر 1954، ثم تحول فيما بعد إلى لجنة تعمل تحت قيادة مامية شنتوف. تولت الامانة العامة في هذه اللجنة نفيسة حمود. قامت اللجنة بالتنظيم السياسي والتنسيق في ناحية الغرب (وهران وتلمسان) . طرحت هذه اللجنة مسألة استقلال البلاد كان عملها الحقيقي هو التكوين السياسي للنساء. استعملت في ذلك حتى الغرف المسرحية في قاعة دنيازاد بالعاصمة وفي وهران وتلمسان. عملن خاصة في حي بلكور والقصبة. وقد كانت مامية هي المنسق بين الحزب والخلايا . نجد من بين منشطات الخلايا:نفيسة حفيز، فطيمة زكال، سليمة بلحفاف، مليكة مفتي، زهور رقيني. أما الممثلين عن الحزب فكانوا:محي الدين، علي محزاز، عبد الرحمن طالب، وفي بعض الأحيان يتم التنسيق المباشر مع عبد الحميد سيد علي. أنظر:

Mamia CHENTOUF,"Faire entendre la voix de l'Algérie:des femmes,une vie", Parcours Maghrébins,n°09,10 Juin/Juillet 1987,p. 84.

[6]- تدخل عائشة قنيفي، كفاح المرأة الجزائرية:دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ، ط2، الجزائر:دار هومة، 2007، ص. 445.

[7]-عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة: مؤسسات ومواثيق، الجزائر:دار هومة، 2005، ص. 140.

8 -Claude COLLOT,Op. Cit,p. 33.

[9]- في معنى ذلك يقول عبد الحميد بن باديس:"إذا أردتم إصلاحها فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها". أنظر: رابح لونيسي، مرجع سابق، ص. 292.

10 -Mohamed HARBI, Les archives de la révolution Algérienne,Paris: Jeune Afrique,1981,p. 93.

11-Salem BOUBAKEUR,"Le01erNovembreàKhenchela", in Récitsdefeu Présentés par Mahfoud KADDACHE,Alger:Edition SNED,1977, p. 17.

[12]- مبروك بلحسين، المراسلات بين الداخل والخارج(الجزائر-القاهرة1954-1956):مؤتمر الصومام في مسار الثورة التحريرية، ترجمة الصادق عماري، الجزائر:دار القصبة، 2004، ص. 87.

[13] - نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني1954-1962، ملفات وثائقية، الجزائر:وزارة الإعلام والثقافة، أوت1976، ص. 08

[14]- المرجع السابق، ص. 08.

[15]- المرجع السابق، ص. 08.

16-Benjamin STORA,Mohammed HARBI,La guerre d'Algérie 1954-2004,La fin de l'amnésie,Alger:Editions Chihab,2004 ,p. 422.

[17]- على العكس من ذلك أصبح إعلان جبهة التحرير الوطني أسطورة لدرجة أنه يعتبر الآن بمثابة روح حدث 01 نوفمبر 1954 التاريخي. أنظر: "نوفمبر: البيان الاول والبيان الثاني"، البيان، العدد36، الأسبوع من 07 إلى 13 نوفمبر1994، ص. 18

18-Charles Robert AGERON,"L'insurrection du 20 Août 1955 dans le nord constantinois:De la résistance armée à la guerre du peuple" in La Guerre d'Algérie et les Algériens 1954-1962,Armond Colin,1996,p. 27.

[19]- "نوفمبر: البيان الاول والبيان الثاني"، مرجع سابق، ص. 18.

[20]- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص. 119

[21]- نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني1954-1962، مرجع سابق ، ص ص. 18-22.

[22]- المرجع السابق، ص. 22

23-Gilbert MEYNIER,Histoire intérieure du FLN1954-1962, Alger: Editions Casbah, 2003,p. 229.

[24]- نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني1954 -1962، مرجع سابق ، ص. 22

[25]- المرجع السابق، ص. 21

26-81F13:Situation de l'Algérie…Rapports de commandements civils et militaires du sud-constantinois, (Rapport du11 au 31 Aout 1955).

27-Gilbert MEYNIER,Histoire intérieure du F. L. N1954-1962,Op. Cit ,p. 224.

[28]- بوعزة بوضرساية، دور المرأة المثقفة في الثورة التحريرية، كفاح المرأة الجزائرية:دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ، ط2، الجزائر:دار هومة، 2007، ص. 305.

29-Gilbert MEYNIER,Histoire intérieure du F. L. N1954-1962,Op. Cit , p. 225.

30-André MANDOUZE, La révolution algérienne par les textes,Alger:Editions ANEP,2006,p. 99-100.

31-Gilbert MEYNIER,Histoire intérieure du F. L. N1954-1962,Op. Cit , p. 225.

32-Mohamed HARBI,Gilbert MEYNIER,Le FLN:Documents et Histoire 1954-1962,Alger:Editions Casbah,2004,p. 606.

33- Rym SEFERDJELI,Les femmes dans l'A. L. N:Le mariage et/ou l'action?,Colloque Pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco-algérienne 20-22 juillet2006,lyon,ENSLSH,2007(http://ens-web3. ens-lsh. fr/colloques/france-algérie/ communication. php3?id_article=261).

34-Gilbert MEYNIER,Histoire intérieure du F. L. N1954-1962,Op. Cit , p. 226.

35-Mohamed HARBI,Gilbert MEYNIER,Op. Cit,p. 617-618.

36 -Mohamed TEGUIA,L'Algérie en guerre,Alger:O. P. U,1988,p. 162.

[37]- نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني1954-1962، مرجع سابق ، ص. 46.

[38]- المرجع السابق، ص. 38.

[39] - نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني1954-1962، مرجع سابق ، ص ص. 45-46.

[40]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة محمد حافظ الجمالي، القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، 2003، ص. 435.